بسم الله الرّحمن الرّحيم

المعجزات في مجلة المناروتفسير القرطبي: دراسة تفسيرية مقارنة "معجزة الفيل، وشق الصدر، وانشقاق القمر، والإسراء والمعراج".

إعداد الطالب: مُحَّد الأمين مُحَّد سيلا*

مستخلص الورقة

هذه دارسة قرآنيّة تفسيريّة مقارنة بين مجلة المنار، والجامع لأحكام القرآن–تفسير القرطبي–لإبراز بعض معجزات النّبي ε، على سبيل المثال: "معجزة الفيل، وشق الصدر، وانشقاق القمر، والإسراء والمعراج". ولما كانت أهل مجلة المنار يعتبر من نواة المدرسة العقلية الحديثة الذين ينكرون معجزات الأنبياء إما بطريق مباشر أو بتأويلات توحي إلى إنكارها، فلذا تم اختيارها لبيان موفقها في هذه الجوانب، مقارنة بتفسير القرطبي، ثم المناقشة، والخروج بنتيجة الراجح من المرجوح بإن الله تعالى.

أهداف الورقة:

1. إبراز أهمية المعجزة في القرآن الكريم، ممّا يزيد المرء إيماناً ويقيناً بالله تعالى وبالنبوة المحمّديّة.
2. إثبات المعجزات للنبي مُحَّد بن عبد الله ﷺ.
3. توضيح تفسير تلك المعجزات في مجلة المنار ممثلة عن المدرسة العقلية الحديثة، وفي تفسير القرطبي ممثلاً عن تفسير القدامى.
4. المقارنة بين الرأيين–رأي أهل مجلة المنار في إثبات المعجزات للنبي عليه الصلاة والسلام، ورأي تفسير القرطبي في ذلك، ثم الخروج بالرأي المختار.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، وهو خالق كل شيء وفاعل لما يريد، وبيده كل شيء يتصرف في مخلوقاته كما شاء ومتى شاء وكيف ما شاء، ولا معقب لحكمه.وهو الذي أهلك أبرهة وجماعته بسوء نيتهم لهدم الكعبة المشرّفة، وأنزل عليهم طيوراً تحمل بمنقارها أحجاراً مصنعة من النّار، ترميهم بها، فلم يبق أحدٌ منهم أصابته تلك الحجارة إلا جعلته كعصف مأكول، ولقدرته سبحانه وتعالى ولحكمته البالغة شَق صدر حبيبه وخليله ﷺ لمهمة خاصة، ولمصداق دعوة نبيّه محمّد ﷺ

* طالب دكتوراه بقسم الفقه وأصول الفقه، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانيّة–الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا، والبريد الإلكتروني: sylla_mohamed13@yahoo.com.

أنشق القمر فور طلب المشركين من محمّد ﷺ بإتيان آية دالة على صدق دعوته أنه نبي مرسل من الله تعالى الأحد الصمد، وأخذ سيّدنا محمّد ﷺ يعطي حق وظيفته الدعويةلمدة عشر سنوات، ولم يستجب لدعوته من قريش مكة إلا شرذمة قليلون، ثم أُسري به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ومن ثَمّ عُرج به إلى السماء حتى انتهى به جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى، ثم فرضت عليه الصلوات الخمس. صلوات ربي وسلامه على هذا النبي الأميّ، الذي بلغ الرّسالة ونصح الأمّة، وجاهد في الله حق الجهاد حتى وفته المنيّة، وعلى آله وصحبه وكل من سار بنهجه إلى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

وتحتوي الورقة على مطلبين هما:

المطلب الأوّل: تعريف موجز لمجلة المنار، وتفسير القرطبي.

المطلب الثاني: تعريف المعجزة، ودراسة المعجزات في مجلة المنار وتفسير القرطبي.

المطلب الأوّل: تعريف موجز لمجلة المنار، وتفسير القرطبي

أوّلاً–نبذة تعريفية موجزة عن مجلة المنار:

مؤسّس المجلة ورئيس التحرير هو: محمّد رشيد رضا الحسيني لبناني الأصل ومصري الموطن.لما التقى السيد محمّد رضا رشيد بالأستاذ محمّد عبده، وفاتحه حول ضرورة"مجلة شهريّة تبحث في فلسفة الدّين وشؤون الاجتماع والعمران، ويكون اسمها المنار، ووافق الأستاذ الإمام عبده على المقترح وأجاز الاسم، وقد اقتبس السيد رشيد رضا هذا الاسم من الحديث الشريف: "إن للإسلام صُوًى ومنارًا، كمنار الطريق [1]"، والصوى هي الحجر الذي يكون علامةً في الطريق يهتدي به المارّة، والمنار هو العَلم الذي يوضع بين الشيئين من الحدود. والعَلم ما نصب من الحجارة ليستدل به على الطريق [2]. وفي الحديث "لعن الله من غيّر منار الأرض"، أي أعلامها ويقصد بذلك أن للإسلام منارًا أي أن له علامات وشرائع يعرف بها[3].

[1] **الجامع الصغير من حديث البشير والنذير**،لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى باز، ط2، 2000م)، ص496، وأما درجة الحديث فهو الصحيح ، وينظر **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1988م)، م1، ص432.

[2] **لسان العرب**، لمحمد مكرم ابن منظور، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط 2، 1999م)، ج7، ص446–447، **وقاموس المحيط**، لمجد الدين محمد بن يعقوبالفيروز آبادي، (بيروت: دار الفكر، ط1، 2003م)، ص1173.

[3] **مجلة المنار** ، لمحمدرشيدرضا ، (مصر: مطبعة المنار، ط 2، 1327هـ)، م31، ج 1، ص 1، فاتحة هذا المجلد، وم23،ج1، ص 1، وغيرهما من عدد مجلة المنار، و **رشيد رضا: الصحفي، المفسّر، الشاعر، اللغوي** ، لأحمد الشرباصي، (القاهرة: مطبوعات مجمع البحوث الإسلاميّة، 1977م)، ص20–21، **والآثار الكاملة لمجلة المنار عن**

وأبرز صاحب مجلة المنار أهدافه في التأسيس وتنشئة مناره، حيث ركّز على الشيئين المهمين وهما كالتالي:

أحدهما: اعتناؤه بالتربية والتعليم ونشر المبادئ السلفيّة العامة، وذلك استئناسًا بمنهج الأستاذ محمّد عبده الذي عوّل على الإصلاح الاجتماعي دون الانزلاق في هاوية العمل السياسي الذي كان محفوفًا بالمخاطر، ومفوقًا لأي نشاطي إصلاحي هادف. ومن ثم كان اهتمام المنار منصبًا نحو تسخير العقيدة والدين لمعالجة الواقع المادي وإشكالياته الاقتصاديّه والماليّة والاجتماعيّة التي سادت ذلك العصر.

ثانيهما: سعى السيّد رشيد رضا إلى توفير الحلول الشرعيّة العمليّة لإشكالات الأمّة الإسلاميّة، التي تأثرت بمعطيات الحداثة الأوروبيّة وبعض أدبيات تيار التقليد ومحاكات الموروث، الذي تدثر بتراث قرون التراجع والجمود، ووجد ضالته في مناهج المؤسسات التعليميّة التقليديّة، وتعاليم الطرق الصوفيّة التي

استبدلت الشعوذة والخرافة بحقيقة التّصوف الذي يقضي بتهذيب النّفس وتشذيبها، وفتاوى النّصوصيين التي عزلت النّصوص عن مقاصدها الشّرعيّة والتّشريع المبتغاة منها[4].

ثانياً–نبذة تعريفية موجزة عن تفسير القرطبي " الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان[5]":

مؤلف هذا الكنز الضخم المسمى بجامع أحكام القرآن، أو تفسير القرطبي هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي ، وهذا الكتاب من الكتب التفسيريّة التي عُنيت بالأحكام القرآنية[6]. وقد جمع فيه مؤلفه من السنة وأحكام الفرقان، وركّز على آيات الأحكام أكثر، ووُصف أنه من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً؛ لأنه مصنفه أخرج منه التواريخ، والقصص، وعوضها بأحكام القرآن الكريم، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات، والناسخ والمنسوخ، وهلمّ جرا[7].

جنوب شرق آسيا، لأحمد إبراهيم أبو شوك ، (مركز بحوث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط 1، 2006م)، ج1، ص3-4.

[4] **مجلة لمنار** ، لرشيد رضا، مقدمة الطبعة الثانيّة، فاتحة العدد الأوّل، م 1، ج 1، 1-14، و **الآثار الكاملة لمجلة المنار**،أبوشوك، ج1، ص5-6.

[5] هكذا سماه مؤلفه، ينظر: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، (الرياض: دار عالم الكتب ، د. ط، 1423ه/ 2003م)، ج1، ص3. مقدمة الكتاب.

[6] **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، لأحمد بن محمد الأدنروي ،(المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ، ط1، 1997م)، ص246.

[7] ينظر: موقع ويكبيديا،http://ar.wikipedia.org/wiki/%،تاريخ الزيارة: 2014/01/21م.

سبب التأليف:

نصّ مؤلفه نفسه رحمه الله تعالى على سبب التأليف في مقدّمة الكتاب حيث قال: "فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي استقل بالسنة، والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه منيتي[8]".

شرط القرطبي رحمه الله تعالى في هذا الكتاب:

بيّن القرطبي رحمه الله شروطه الأربعةفي هذا التأليف، ووفّى بها:

1. بأنه ينسب الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى من رواها؛ لأن: "من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله"؛ لأن كثيراً من الفقهاء والمفسرين يسردون الأحاديث والأقوال بدون العزو إلى أهلها، فيتحير القارئ المبتدئ الذي لا خبرة له بمعرفة التمييز بين الصحيح والسقيم.
2. والإضراب "عن كثيرمن قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين إلا ما بد منه، ولا غنى عنه للتبيين".
3. والاعتياط"من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد للطالب إلى مقتضاها،فضمن كل آية تتضمن على حكم واحد أو حكمين".
4. فإذا زاد حكم الآية عن حكمين فيبيّن سبب النزول، والتفسير الغريب، والحكم، وإن لم تكن الآية تحتوي على أي حكمٍ فيبيّن ما فيها من التفسير، والتأويل[9].

طريقته في التأليف:

نصّ مؤلفه نفسه رحمه الله على طريقته في مقدمة الكتاب قائلاً: " بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير ، واللغات، والإعراب، والقراءات، والرد على أهل الزيغ ، والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات جامعاً بين معانيهما ومبيناً ما أشكل منهما بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف[10]".

---

[8] **الجامع لأحكام القرآن**،لقرطبي، ج1، ص3. مقدمة الكتاب.

[9] ينظر: المرجع نفسه.

[10] ينظر: المرجع نفسه؛ موقع ويكبيديا.

قال الإمام الذهبي رحمه الله عن القرطبي رحمة الله عليهما: إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه، ووفور فضله، توفي في أوائل سنة إحدى وسبعين وستمائة (600 /671هـ: 1273/1204م)، ودفن في صعيد مصر[11].

وبعد ما عرض الباحث موجزًا من سيرة شخصية السيّد رشيد رضا، ونبذة موجزة عن إنشاء مشروع مجلة المنار، وكذلك تفسير الجامع لأحكام القرآن، فيطيب للباحث الشّروع في لب الموضوع الذي هو دراسة المعجزات في مجلة المنار وتفسير القرطبي، ويتم تناول التفاصيل في النقاط التالية:

المطلب الثاني–تعريف المعجزة، ودراسة المعجزات في مجلة المنار وتفسير القرطبي:

أوّلاً–تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً:

أ. **المعجزة في اللغة:** هي اسم فاعل، مأخوذ من العجز المقابل للقدرة [12]، ومعجزة النبيّ ε: ما أَعْجَزَ به الخصمَ عند التَّحدِّي، والهاءُ للمبالغة، والجمْع مُعجِزاتٌ [13]. والمعجزة في الحقيقة لا ينسب إلى غير الله إلا تجوزاً وتوسعاً في التعبير؛ لأن خالق المعجزة في الحقيقة هو الله تعالى، وإنما يجريها على يد نبي من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام[14].

ب. **المعجزة في الاصطلاح:** تُعرّف المعجزة في الاصطلاح بأنها "أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها، شاهداً على صدقه. فإذا قام إنسان ما ادعى أنه مبعوث الله إلى خلقه، ورسوله إلى عباده، وقال: إن آية صدقي فيما أدعيه أن يغير الله الذي أرسلني عادةً من عاداته على يدي، وأن يُخرج الآن عن سنة من سننه العامة في وجوده"[15].

وعرِّفت تعريفاً موجزاً بأنها "أمر خارق للعادة يظهره الله على يد النبي تأييداً لنبوته" [16]. إذن، "فالمعجزة دليل حسي أو معنوي يعجز جميع البشر الموجودين عند إرسال الرسول ﷺ عن الإتيان بمثله. وعجز البشر دليل على أن المعجزة فعل الله القادر على كل شيء"[17].

---

11 ينظر: **الوافي بالوفيات**، الصفدي،ص102.

12**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية** ، لمحمد بن أحمد بن سالمالسفاريني، (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط2، 1402هـ/1982م)، ج2، ص290.

13**القاموس المحيط**، لمجد بن يعقوبالفيروزآبادي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ج 1، ص663.

14**الكليات**، تحقيق عدنان درويش، ومُحَمَّد المصري، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينيالكفومي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/1998م)، ج1، ص214.

15 **مُحَمَّد عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن**، للزرقاني،(دار الكتاب العربي)، ج1، ص63.

16**القرآن وإعجازه العلمي**، لمحمد إسماعيل ابراهيم، ج1، ص49.

ثانياً–دراسة معجزة الفيل في مجلة المنار وتفسير القرطبي:

تصوير قصة أصحاب الفيل: بنى أبرهة كنيسة بصنعاء لم يشهد العالم بمثلها في الأرض في ذلك الزمان، ثم بعث خطاباً إلى النجاشي قائلاً له: "إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملك كان قبلك"، وكان هدف أبرهة من وراء هذا العمل صرف الحجاج عن بيت الله الحرام إلى حج كنيسته في صنعاء؛ لأنه حلف أنه ليمشين إلى البيت –بينت الله الحرام–ليهدمه، وبعث رجلاً إلى بني كنانة ليدعوهم إلى حج كنيسته فقتلته بنو كنانة، فغضب لذلك أبرهة غضباً وحنقاً، ومن ثَمَّ استعان أبرهة بجيش الحبشة لحرب بني كنانة، ولهدم الكعبة الشريفة، ثم خرج أبرهة ومعه الفيل بنية تحقيق هدف بناء الكنيسة. وخرج لمقاتلته رجلٌ من أشراف أهل اليمن وملوكهم يُنادي بذي نفر، فدعا هذا الرجل قومه ومن أجابه من سائر العرب لأجل حرب أبرهة، والذب عن بيت الله الحرام؛ لكن بقدر الله تعالى أن هُزم ذو نفر ومن معه من الجيوش وأسّره أبرهة، ولما أراد أبرهة قتل ذي نفراستطاع ذو نفر أن يقتنع أبرهة فلم يقلته بعد ذلك، ولما اقترب أبرهة من الكعبة المشرفة، أراه الله تعالى بعظم قدرته، وخبرياته حيث أرسل عليهم طيوراً ترميهم بحجارة خاصة، فأهلك كل ما أصابته تلك الأحجار [18]، وكان عدد أصحاب الفيل ستين ألفاً، ولم يرجع منهم أحدٌ إلا أميرهم ، وشرذمة قليلة[19]. وولد نبينا مُحَّد بن عبد الله عليه صلواتي ربي وتسليماته عليه في هذا العام–عام الفيل على أصح الرواية[20].

ولعظم هذا الشأن أنزل الله سبحانه وتعالى سورة خاصة تذكّر الأمة المحمّديّة بهذه الحادثة، وإن لم يشهدوا الواقعة إلى يوم أن يرفع الله فيه كتابه إلى السماء، وهي سور الفيل: " ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)**﴾.

موقف صاحب تفسير القرطبي من حادث الفيل:

---

[17]**تبسيط العقائد الإسلامية**، لحسن مُحَّد أيوب، ص144.

[18] ينظر: **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، ج20، ص187–188.

[19] ينظر: المرجع نفسه، ج20، ص193.

[20] ينظر: المرجع نفسه ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق: أحمد مُحَّد شاكر ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ج1،ط1، 1420 هـ/2000م)، ج24، ص610–611.وردت روايات كثير في مولد الرسول في عام الفيل، قبله بأربعين سنة، ...، يرجى المرجعين لمزيد من المعلومات.

وقال القرطبي رحمه الله في حادثة الفيل ما نصه: "قال علماؤنا: كانت قصة الفيل فيما بعد من معجزات النبي ﷺوإن كانت قبله وقبل التّحدي؛ لأنها كانت توكيداً لأمره، وتمهيداً لشأنه [21]". فهذا نص صريح من الإمام القرطبي رحمه الله بأن قصة الفيل تعتبر معجزة من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام.

موقف أهل مجلة المنار من حادث الفيل:

أسوق نص القائل –الأستاذ الإمام مُحَّد عبده–ليتضح القول وموقفه أكثر من تفسير السورة: "وقد بيَّنت لنا هذه السورة الكريمة، أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش، بواسطة فِرَق عظيمة من الطير مما أرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض، أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس، الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسده دخل في مسامه، فأثار تلك القروح التي تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يُعَد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وإن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالميكروب لا يخرج عنها، وهو فِرَق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها، ولا يتوقف ظهور أثر قُدرة الله تعالى في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال، ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب، ولا على أن يكون له ألوان خاصة به، ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها فلله جند من كل شيء[22]".

مناقشة رأي مجلة المنار في حادث الفيل:

فموقف القرطبي رحمه الله في المعجزات واضح وجلي فلا يحتاج إلى النقاش كما هو نفسه صرّح بأن حادث الفيل معجزة من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام.

وأما موقف أهل مجلة المنار في إثبات المعجزات فواضح إنكارها للمعجزات، فلذلك كلف السيد محمّد رشيد رضا نفسه بما لم يكلفه الله تعالى به، وأوّل الآية على غير وجه مناسب، ولهذا ردّ سيد قطب على هذا التفسير الغريب قائلاً:"ونحن لا نرى أن هذه الصورة التي افترضها الأستاذ الإمام صورة الجدري أو الحصبة من طين ملوث بالجراثيم ...ومن ثم فنحن لا نقف أمام الخارقة مترددين ولا مؤوّلين لها متى

---

[21] ينظر **تفسير القرطبي**، للقرطبي، ج20، ص195.

[22] **الأعمال الكاملة**، لمحمد عبده، (بيروت: مؤسسة عربية، د. ط، 1979م)، ج5، 504 – 505. وقد نقل عنه سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي نفس النص **في ظلال القرآن**، ج 8، ص101؛ **التفسير والمفسرون**، الدكتور مُحَّد حسين الذهبي، (القاهرة: دار الحديث، د. ط، 2005م)، ج5، ص34.

صحت الرواية ...، إننا ندرك ونقدر دوافع المدرسة العقلية التي كان الأستاذ الإمام رحمه الله على رأسها في تلك الحقبة . . . إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات في تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ، ومحاولة ردها إلى المألوف المكشوف من السنن الكونية[23]".

فهذا نص صريح بأن أهل المدرسة العقلية، يحاولون تفسير الآيات التي لا تتناسب مع عقولهم، وأيضاً؛ لكن قد وضح سيد قطب بأن حادثة الفيل معجزة من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام، وليس الأمر كما فهمه السيد محمّد رشيد رضا.

وفي موضع آخر بيّن سيد قطب رحمه الله موقف المدرسة العقلية بالنسبة لمعجزات حيث قال: "فقامت هذه المدرسة تحاول أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل...شاع في هذا التفسير الرغبة الواضحة في رد الكثير من الخوارق ، وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه «المعقول» وإلى الحذر والاحتراس الشديد في تقبل الغيبيات[24]".

وكذلك ردّ الدكتور حسين الذهبي على هذا التفسير الذي لا يتفق مع العقل السليم، بعد ما نقل نص مُحَّد رشيد قائلاً: "ثم جوَّز أن تكون الطير هي ما يُسمى اليوم بالميكروبات، كما جوَّز أن تكون الحجارة هي جراثيم بعض الأمراض، وهذا ما لا نُقره عليه ، لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن بلغة العرب، وخاطبهم بما يعهدون ويألفون، وإذا كان الأستاذ الإمام قد أعطى لعقله الحرية الكاملة في تفسيره للقرآن الكريم، فإنَّا نجده يُغرِق في هذه الحرية ويتوسع فيها، إلى درجة وصلت به إلى ما يشبه التطرف في أفكاره، والغلو في آرائه[25].

فهذا أيضاً يدل على فساد تفسير الأستاذ الإمام مُحَّد عبده لتفسير الآية الكريمة، بأنها ليست ميكروبات ولا جراثيم كما هو فهم، بل إنما هي آية من آيات الله، ليحمي بها بيته الحرام، ومصداقاً لبنوة نبيه مُحَّد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه.

مقارنة الرأيين:

لقد عرض الباحث شيئاً من موقف مجلة المنار، وتفسير القرطبي في إثبات المعجزات للنبي عليه الصلاة والسلام، فتبيّن له أن موقفهما مختلف تماماً بحيث يثبت صاحب الجامع لأحكام القرآن معجزات النبي

[23] ينظر: **فيظلال القرآن**، لسيد قطب، ج8، ص 102 وما بعدها.

[24] ينظر: المرجع نفسه، ج8، ص104.

[25] ينظر: **التفسير والمفسرون**،للذهبي، ج5، ص 34.

عليه الصلاة والسلام، وبينما ينفي الأستاذ مُحَّد رشيد رضا معجزات النبي جملة وتفصيلاً، وإلا ما أدّى أن يفسر السيد محمَّد قوله تعالى: "طيراً أبابيلا" بالميكروبات، والجراثيم المعروفة في هذا العصر.

ثالثاً–دراسة معجزة شق الصدر في مجلة المنار وتفسير القرطبي:

تصوير شق صدر النبي عليه الصلاة والسلام: فإن جبريل عليه السلام أتى نبينا محمّد بن عبد الله ﷺ فشق صدره واستخرج قبله، وغسله بماء زمزم، ثم أرجعه في مكانه، فشُق صدره أكثر من مرة–في طفولته، وعند البعثة، وعند إرادة العروج إلى السماء[26].

موقف القرطبي من شق الصدر:

فإن القرطبي رحمه الله يثبت شق الصدر، كما ثبت ذلك في الصحيحين–البخاري ومسلم–، بدون تأويل ولا تكييف، أمرّه كما جاء، وفي هذا ينقل ابن حجر العسقلاني عن القرطبي ما نصه: "لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء لأن رواته ثقات مشاهير[27]".

وابن حجر رحمه الله مؤكِّدٌ، ومؤيّدٌ ما صرّح به القرطبي حيث قال ما نصه: " وجميع ما ورد من شق الصدر، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك [28]".أياعتبر ابن حجر رحمه الله الاستسلام بوقوع شق الصدر من الأمور الواجبة على المسلم. وأكّد هذا الموقف العلامة ابن عاشور رحمه الله قائلاً: "قد كان ذلك الشق معجزة خارقة للعادة[29]".

---

[26] ينظر: **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، ج5، ص52، رقم الحديث: 3887، باب المعراج؛ **صحيح مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،(بيروت: دار الجيل، د. ط، د. ت)، ج1، ص101، رقم الحديث: 431؛ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (بيروت: دار المعرفة، د. ط، 1379هـ)ج7، ص205.

[27]**فتح الباري**، لابن حجر، ج7، ص205.

[28]المرجع نفسه.

[29]**التحرير والتنوير**، مُحَّد الطاهر بن مُحَّد بن مُحَّد الطاهر بن عاشور التونسي ،(بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1420هـ/2000م)، ج30، ص 361.

موقف مجلة المنار من حادث شق الصدر:

لقد ردّ السيد محمّد رشيد رضا شق صدره ﷺ، حيث أَوَّلَ المراد بشق الصدربالتطهيرمن كل ما لا يليق بمنصبه الأعلى من الشهوات، والأهواء التي هي موضوع وسوسة الشيطان، وأن ذلك الشق المذكور هو مجرد رؤية رآها النبي في المنام، كرؤية يوسف عليه السلام، وكرؤية التي أوّلها لصاحبيه عند ما كانوا في السجن[30].

هكذا بكل سهولة ينكر السيد مُحَّد رشيد رضا معجزة شق صدر مصطفى عليه الصلاة والسلام، ويؤوّله بأن ذلك رؤية ليس حقيقة، وهذا الإنكار يؤدي إلى إنكار ما ثبت في الصحيحين- البخاري ومسلم، وهي شيء خطير عواقبه.

وفي موضع آخر من مجلة المنار يقول السيد رشيد ما نصه: " أما شق الصدر وملؤه إيمانًا، فحقيقته غلبة أنوار الملكية وانطفاء لهب الطبيعة وخضوعها لما يفيض عليها من عالم القدس[31]".

مناقشة رأي مجلة المنار لشق الصدر:

لقد ردّ علماء الإسلام الجهابذة على فهم ذي عوج للسيد محمّد رشيد رضا لشق صدره ﷺ، فإن الله تعالى قادر على أن يخلق كل شيء، وهو خلاَّق عليم، وهي يحي ويميت، فكيف يعجز أن يجري هذه المعجزات لحبيبه وخليله وخيرة خلقه محمّد بن عبد الله القرشي ﷺ.

وفي هذا يردّ فخر الدين مُحَّد الرازي على فهم السيد مُحَّد رشيد رضا بصرف شق الصدر عن حقيقته، حيث قال: "فلا يبعد أن يكون حصول ذلك الدم الأسود الذي غسلوه من قلب الرسول عليه السلام علامة للقلب الذي يميل إلى المعاصي ، ويحجم عن الطاعات فإذا أزالوه عنه كان ذلك علامة لكون صاحبه مواظباً على الطاعات محترزاً عن السيئات ، فكان ذلك كالعلامة للملائكة على كون صاحبه معصوماً وأيضاً، فلأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[32]".

وفي هذا النص تصريح واضح بأن صدره ﷺشُق ثم غُسل وأُزيل الدم الأسود منه، ليكون مبتعداً عن جميع المعاصي ومقبلاً على جميع الطاعات، وهو يستحق بذلك لأنه معصوم، والمعصوم ينبغي أن يكون غير متصف بكل ما يُخيل به المروءة، فناسب شق صدر النبي عليه الصلاة والسلام.

---

[30] ينظر: **مجلة المنار**، لرشيد رضا، ج33، ص276.

[31] **مجلة المنار**، لرضا، ج14، ص731.

[32] **مفاتيح الغيث**، فخر الدين مُحَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ/2000م)، ج32، ص4.

وأقوى الرد على فهم السيد مُحَّد رشيد رضا، بأن أنس τ الصحابي الجليل، قال ما نصه: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[33]»، وكفى بهذا دليلاً، ورداً على من يشكك في شق صدره ﷺ، ويؤوّله على وجه غير مراد به من الشرع، وعند علماء السلف.

مقارنة الرأيين في حادث شق الصدر:

لقد عرض الباحث شيئاً من النصوص الواردة بخصوص شق صدر ﷺ، وعليه، فإن الإمام القرطبي رحمه الله أثبت شق الصدر، كغيره من علماء السلف، وأما أهل مجلة المنار فعلى رأسهم السيد مُحَّد رشيد رضا رحمه الله كلّف نفسه فيما لا كلفة فيه، حيث فسّر شق الصدر بما لم يفسر به أحدٌ قبله من علماء الشريعة. وهذا مرور عليه، لمخالفته للحديث الصحيح في الصحيحين، وكذلك لمخالفته لعلماء سلف هذه الأمة المحمديّة، وأيضاً، لم يذكر السيد رضا أياً دليل وبرهان على هذا التفسير السقيم.

رابعاً–دراسة معجزة انشقاق القمر في مجلة المنار وتفسير القرطبي:

تصوير حادث انشقاق القمر: كما ثبت في صحيح البخاري، وغيره بأن مشركي مكة طلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يوريهم آية، فسأل مُحَّد بن عبد الله ربه فانشق القمر إلى الشقين[34]، وثم أنزل الله تعالى قوله: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ إلى قوله: ﴿ **سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾، مع كل ذلك " فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كَبْشة سحركم".مع أن هذا في حقيقة أمره معجزة من معجزات النبي ﷺ، لأن أهل مكة ما كانوا يتصورون ذلك من النبي ﷺ أن يفعل.

موقف القرطبي من حادثة انشقاق القمر:

كما من دأبه أن يثبت ما أثبتته السنة النبويّة، وعلى هذا يقول القرطبي رحمة الله عليه: " وقد ثبت بنقل الأحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها؛ لأنها كانت آية ليلية؛ وأنها كانت باستدعاء النبي ﷺمن الله تعالى عند التحدي[35]".

وقال حافظ بن كثير رحمه الله تعالى:" كما ثبت ذلك – انشقاق القمر–في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: "خمس قد مضين: الروم،

[33] **صحيح مسلم**لمسلم، ج1، ص145.

[34] ينظر: **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، ج17، ص126؛ **تفسير الطبري**، للطبري، ج22، ص565.

[35] المرجع نفسه.

والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر" ، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أي انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺوأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[36]".

عن ابن مسعود قال :"انشق القمر على عهد رسول الله ﷺفرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺاشهدوا[37]".

عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾، قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺوسلم انشق فلقتين: فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: "اللهم اشهد[38]".

وقال حافظ الحكمي رحمه الله: " وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة[39]".وقال الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله: "وانفلق القمر فلقتين على جبل أبي قبيس[40]".

موقف مجلة المنار في حادثة انشقاق القمر:

وكما من دأب السيد محمّد رشيد رضا، أن يردّ وينكر ويرفض كل ما يخالف عقله، أو لا يتناسب مع العصر الذي هو عائش فيه، فهذا غير مقبول وغير منطق؛ لأن آيات الله تعالى لا تأتي دائماً لتوافق على رغبات البشر، فإذا كان كذلك ما الحكمة من الغيبيات؟

وعلى هذا فإن السيد رضا، يفسر آية انشقاق القمر لما يتوافق مع هواه حيث يقول:"في معنى قوله تعالى:﴿**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾، بمعنى طلع وانتشر نوره، ويكون في الآية بمعنى ظهر الحقووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر[41]".

وبدأ السيد مُحَّد رضا يردُّ الثوابت في قضية انشقاق القمر، وأورد الأحاديث الواردة بهذا الخصوص، ثم بدأ برد هذه الأحاديث بفهمه الخاطئ، أسرد هنا بعض نصوص رشيد رضا، حيث يقول رشيد رضا: " زعم بعض العلماء المتقدمين أن الروايات في انشقاق القمر بلغت درجة التواتر وهو زعم، باطل كقول ابن عبد البر[42]".

---

[36]**تفسير القرآن**،لابن كثير، ج7، ص 472.

[37]**صحيح البخاري**، للبخاري، ج15، ص 115. ورقم الحديث: 4486.

[38] المرجع نفسه.

[39]**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، حافظ بن أحمد حكمي، (الدمام: دار ابن القيم، ط1، 1410/1990م)، ج2، ص689.

[40]**أيسر التفاسير**،أبو بكر الجزائري، ج4، ص 170.

[41]**مجلة المنار**، لرشيد رضا، ج30، ص261.

[42] المرجع نفسه.

لاحظ السيد رشيد رضا يبطل قول ابن عبد البر، وروايات الصحابة رضوان الله عليهم، ولا يدري أن قوله في غاية البطلان، وقد روى ابن مسعود ﷺ هذه الحادثة، ألا يكفي مسلم الرواية الثابتة عن ابن مسعود.

ويواصل السيد رشيد رضا فهمه الغريب حيث يقول أيضاً: " ومن المعلوم بالبداهة أن انشقاق القمر أمر غريب، بل هو في منتهى الغرابة ... وانشقاق القمر غيرمعهود في زمن من الأزمان، فهو محال عادة، وبحسب قواعد العلم ما دام نظامالكون ثابتًا، وإن كان ممكنًا في نفسه لا يعجز الخالق تعالى إن أراده، فلو وقعلتوفرت الدواعي على نقله بالتواتر لشدة غرابته عند جميع الناس في جميع البلادومن جميع الأمم، ولو كان وقوعه آية ومعجزة لإثبات نبوة النبي ﷺلكان جميع من شاهدها من أصحاب النبي ﷺ نقلها وأكثرالاستدلال والاحتجاج بها حتى كان يكون من نقلتها في رواية الصحيحين قدماءالصحابة الذين كانوا لا يكادون يفارقون النبي ﷺ، ولا سيما فيمثل هذه المواقف، كالخلفاء وسائر العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم رضي الله[43]".

سبحان الله يستغرب رشيد رضا من قدرات الله تعالى، وهل يعجز خالق السماوات والأرض وما بينهما أن يفعل شيئاً إذا أراده؟ ويربط قدرات الله بقواعد العلم المعاصر، ويجعل معجزات الله تعالى مستحيلة، ثم يدعي أن لو ثبت وقوع انشقاق القمر لنقلها كبار الصحابة الذين ما كانوا يفارقون النبي ﷺ، صراحة هذا كلام فلسفة عقلانيين، يكفي المسلم الحقيقي أن يأتي حديث ثابت عن النبي ﷺ بغض النظر عن أن يكون الراوي من كبار الصحابة أو صغارهم، من يُسأل السيد رشيد رضا مَن ثبت الكون؟ فإن كان جوابه بأنه الله الأحد الصمد، ألا يستطيع أن يتصرف في كونه كيما يشاء؟، والجواب لا بدأن يكون ببلى. هداني الله وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه.

مناقشة رأي مجلة المنار في حادثة انشاق القمر:

لقد ردّ الله سبحانه تعالى على فهم السيد مُحَمَّد رشيد رضا، بقوله تعالى: ﴿**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾،وهذا نص قرآني يجب على مسلم الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى، وأخباره سبحانه وتعالى.

وقد ذكر ابن كثير رحمه: "أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلاً بالهند مكتوباً عليه أنه بُني في الليلة التي انشق القمر فيها[44]".

---

[43] المرجع نفسه.

[44] **البداية والنهاية**،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،(دار إحياء التراث العربي)، ج6، ص85.

ويؤكد ابن كثير رحمه الله وقوع انشقاق حيث يقول: "وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة، من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها[45]".

ونص قوله الله تعالى في القرآن الكريم، حتى أنزل سورة خاصة تتحدث عن هذه الحادثة، وكذلك نصوص الأحاديث الواردة بخصوص انشقاق القمر، وأقوال السلف الصالح، كفى ذلك دليلاً وحجة بالغة للإنسان المسلم أن يصدق بانشقاق القمر، وأن يعتبر ذلك معجزة من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام.

مقارنة الرأيين:

فموقف الإمام القرطبي بارز في اثبات انشقاق القمر، كما هو نفسه نَصَّ عليه، وكذلك النصوص المؤيّدة موقفه في هذا الموضوع.

وأما محل السيد رشيد رضا من انشقاق القمر، فكذلك واضح وجلي، حيث ينكر وينفي ذلك بأدلة باطلة وفاسدة، وبدون اعتبار قول الله تعالى، ومع هذا أمر إلهي يجب الاستسلام له، والانقياد به. وعليه، فإن موقفهما مختلف وفرق كبير بينهما.

خامساً–دراسة معجزة الإسراء والمعراج في مجلة المنار وتفسير القرطبي:

تصوير حادث الإسراء والمعراج: الإسراء والمعراج حادثة شهيرة لكل من يؤمن بالله وبنبوة محمّد بن عبد الله ﷺ، بعث الله نبيه مُحَمَّداً بن عبد الله نبياً ورسولاً لجميع الثقلين، وفعلاً قام بما وظفه الله به وهو دعوة جميع الناس إلى توحيد الله تعالى، أخذ على هذا العمل 10 سنوات في مكة، لم يستجب له إلا قليلاً من القريش، ثم عُرج به إلى السماء، وفُرضت عليه الصلوات الخمس، ولما رجع من لقاء ربه سبحانه وتعالىمَكث في مكة 3 سنوات ثم أُمر بالهجرة إلى يثرب–المدينة المنورة–، والأحاديث الواردة بشأن الإسراء والمعراج حمل بعير لا يتسع المقام لذكرها، أكتفي بمخلص ما أخرجه الشيخان–البخاري، ومسلم: بعد ما حدث النبي ﷺعن حادث شدق صدره في ليلة أُسريَ به قال: " ثم أُتيتُ بداية دون البغل، وفوق الحمار أبيض "،وهو البراق، وهو دابة يضع خطوه عند أقصى طرفه، ثم حمل جبريل النبي ﷺ، فانطلق به حتى أتيا السماء الدنيا فاستفتح جبريل ففُتح لهما، فسأل سائل —آدم عليه السلام–جبريلَ أن مَن معه، فأجابه بأن محمّد معه...،ودار الحوار بين جبريل عليه السلام وبين جميع الأنبياء من آدم إلى موسى عليهم السلام، حتى قال النبي ﷺ: "ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم "، فنصحه

[45]**البداية والنهاية**، لابن كثير، ج3، ص146؛ **تفسير القرآن**، لابن كثير، ج4، ص315.

موسى عليه السلام بأن خمسين صلاة ثقيلة على أمته، فطلب النبي ﷺالتخفيف إلى خمس صلوات، وخمسين صلاة في الثواب[46].

موقف القرطبي من حادث الإسراء والمعراج:

قال القرطبي رحمه الله: "ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه وذكر النَّقاش ممن رواه عشرين صحابياً[47]".

موقف مجلة المنار من حادث الإسراء والمعراج:

ينكر السيد رضا معجزة الإسراء والمعراج جملة وتفصيلاً، وبكل بصريح، حيث قال: "الإسراء والمعراج ليسا من المعجزات التي تحدى بها النبي ﷺللاستدلال على نبوته؛ لأن الاستدلال إنما يكون بما يدركهالمنكرون بحواسهم ولا يشكون فيه [48]". دليله الفاسد بأن حواش الناس لا يدركون هذا الإسراء والمعراج، ولا يؤمنون به.

وفي موضع آخر في مجلة المنار يقول رشيد رضا رحمه الله تعالى: "وأما ركوبه على البراق فحقيقته استواء نفسه النطقية على نسمته التي هي الكمال الحيواني، فاستوى راكبًا على البراق كما غلبت أحكام نفسه النطفية على البهيمية وتسلطت عليها. وأما إسراؤه إلى المسجد الأقصى؛ فلأنه محل ظهور شعائر الله، ومتعلق همم الملأ الأعلى،وأما ملاقاتهمع الأنبياء صلوات الله عليهم ومفاخرته معهم، فحقيقتها اجتماعهم من حيثارتباطهم بحظيرة القدس، وظهور ما اختص به من بينهم من وجوه الكمال.وأما رقيه إلى السماوات سماء بعد سماء، فحقيقته الانسلاخ إلى مستوىالرحمن منزلة بعد منزلة، ومعرفة حال الملائكة الموكلة بها، ومن لحق بهم منأفاضل البشر والتدبير الذي أوحاه الله فيها، والاختصام الذي يحصل في

---

[46] ينظر: **صحيح البخاري**، لبخاري، ج5، ص52؛ **صحيح مسلم**، لمسلم، ج1، ص385.

[47] **الجامع لأحكام القرآن** ،لقرطبي، ج10، ص205؛ **أضواء البيانفي إيضاح القرآن الكريم**، لمحمد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1415 هـ/1995م)، ج3، ص6.

[48] **مجلة المنار**، لرشيد رضا، ج14، ص731.

ملأها[49]". وهل بعد هذا، إنكار للإسراء والمعراج، حقيقة قد يؤدّي هذا الإنكار إلى تشكك في نبوة النبي ﷺ، ويترتب على هذا شيء خطير وهو كفر بالله تعالى وبرسوله، والعياذ بالله من ذلك، وما أدّ السيد رشيد إلى هذه التأويلات الفاسدة إلا لعدم تناسب حادث الإسراء والمعراج لعقليته، وقد جعل عقله حاكماً على الشرع، وهو في غاية الفساد والبطلان، وعلى الإنسان المسلم الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ، أو ثبت عنه ﷺ فهذا ركن من أركان الإيمان بالله.

مناقشة رأي مجلة المنار في حادثة الإسراء والمعراج:

قبل أن يرد أي واحد على فهم السيد مُحَمَّد رضا رحمه الله، فإن الله قد تولى بهذا الرد في محكم تنزيله، حيث أنزل سورة خاصة تتحدث عن قضية الإسراء والمعراج، ونص الله تعالى أنه هو نفسه عز وجل أسرى بعبده من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، كفي بهذا دليلاً وبرهاناً لكل من في قلبه ذرة من الإيمان.

وكفاني العلماء برد على زعم السيد رشيد رضا، وفي هذا يقول رئيس المفسرين الطبري رحمه الله تعالى ما نصه: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده مُحَمَّد ε من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ε ... ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوّته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد: فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزاً لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره[50]".

وفي هذا النص قد صرّح الطبري رحمة الله تعالى بثبوت الإسراء والمعراج، وكذلك رجحان القول بأن النبي أسري به بروحه وجسد، وقطع لسان كل زاعم بأنه أسري به بروح دون جسد، واعتبر ذلك الطبري رحمه الله مخالفة لقول الله، ومخالفته كفر به تعالى، ثم لو أخذنا بالمفهوم المخالف لقلنا أن من خالف ثبوت الإسراء والمعراج ليس هو على الفطرة الصحيحة، فليحذر الذين يخالفون أخبار الله تعالى، ومعجزات سبحانه وتعالى، أن يصيبهم هلاك قبل يوم الجزاء والحساب.

---

[49] المرجع نفسه.

[50] **جامع البيان**،لطبري، ج17، ص350.

وقال الشيخ سيد قطب رحمه الله تعالى:"أن الأحاديث ما دامت صحيحة في الإسراء والمعراج، فلا إشكال في قبول ما فيها من الحوادث العجيبة وإن لم تدركه عقولنا، ولا نحتاج إلى خوض الجدال الطويل هل كان يقظة أو مناماً. يقول: "على أننا لا نرى محلاً لذلك الجدل الطويل الذي ثار قديماً، والذي يثور حديثاً حول طبيعة هذه الواقعة المؤكدة في حياة الرسول ε والمسافة بين الإسراء والمعراج بالروح أو بالجسم، وبين أن تكون رؤيا في المنام أو رؤية في اليقظة، المسافة بين هذه الحالات كلها ليست بعيدة؛ ولا تغير من طبيعة هذه الواقعة شيئاً، وكونها كشفاً وتجلية للرسول ε عن أمكنة بعيدة وعوالم بعيدة في لحظة خاطفة قصيرة، والذين يدركون شيئاً من طبيعة القدرة الإلهية ومن طبيعة النبوة لا يستغربون في الواقعة شيئاً[51]".

ثم السيد مُحَّد رشيد رضا نفسه يردُّ على نفسه في مجلة المنار ، وذلك بتناقض كلامه في حادثة الإسراء والمعراج، حيث قال ما نصه : "الإسراء ثابت بنص القرآن فهو قطعي، والمعراج روي من طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما تدل جملتها على صحة أصله، على ما فيها من التعارض والاختلاف في كونه وقع في اليقظة أم في المنام، وهما على كل حال من الأمور الغيبية الخارقة للعادة، ويقربهما من العقل أن روح النبي ε كان لها السلطان على جسده في تلك الليلة، فلطفت جسده الكثيف، فكانت كالجسد الذي كان يتمثل به الروح الأمين في صورة دحية الكلبي، فأمكنها أن تعرج معه بمثل قوته التي لا تقِلّ عن قوة الكهرباء[52]". فيكف يثبت المعراج وينفي الإسراء، وفيما مضي نفي هما معاً فهذا تناقض.

مقارنة الرأيين:

نص القرطبي رحمه الله يُعبر عن موقفه بكل اختصار، بأنه يؤمن ويُثب الإسراء والمعراج، ويَعتبرهما معجزة من معجزات البني ﷺ، فه ذا الذي ينبغي للمسلم بل هو الذي يجب على كل مسلم أن يصدق بهما بدون تأويل ولا تصريف عن حقيقته ، فإن الله تعالى قادر على كل شيء. وهو الذي يسخر كل شيء فأين العجب من الإسراء والمعراج في حق حبيبه وخليله مُحَّد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

وأما موقف السيد رشيد رضا رحمه الله في الحادثة فواضح في نصوصه كذلك حيث ينكر وقوع الإسراء والمعراج، حتى أوّلهما بتعسف وتكلف . وبهذا يتضح لنا جميع بأن موقفهما مختلف تماماً وشتان بينهما كبعد المشرق والمغرب. هداني الله وجميع المسلمين إلى ما يرضيه ويوافق منهج النبي ﷺوصحبه رضوان لله عليهم أجمعين.

---

[51] **في ظلال القرآن**،لسيد قطب، ج5، ص3.

[52] **مجلة المنار**، لرشيد رضا، ج32، ص735.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي يسر لي الوقوف والعثور على بعض المعلومات المتعلقة بدراسة هذا الموضوع المفيد، والذي يعتبر من أساس العقيدة الإسلامية. وها أنا الآن أضع رحالي في خاتمة هذه الورقة، ولأدعها بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها خلال تناول هذا الموضوع.

1. تبيّن للباحث كوضوح الشمس في ليلة البدر بأن المعجزة شيء خارق للعادة، وأن الله تعالى يجريها على أيدي الأنبياء والمرسلين، أو من أراد به، فإنه قادر على كل شيء.
2. توصل الباحث بأن إلحام أبرهة وأصحابه كان جزاء سوء نيتهم بهدم الكعبة المشرفة، لأجل صرف الحجاج إلى كنيسته بصنعاء، فأذاقهم الله تعالى بسوء العاقبة، حيث أرسل إليهم طيوراً تحمل أحجاراً خاصة بمنقارهم، وكان ذلك سبب هلاك من أصابته تلك الأحجار المصنوعة من نار الله تعالى. فهذا جزاء كل من اعتدى على الله تعالى، وعلى مشاعره سبحانه وتعالى.
وكذلك تبيّن للباحث بطلان وفساد فهم السيد مُحَّد رشيد رضا بتأويلاته الغريبة التي لم يقل بها أحدٌ من علماء السلف، وذلك تفسير تلك الطيور بالميكروبات.
3. كذلك زاد يقين الباحث بشق صدر النبي ﷺ، وأنه معجزة من معجزاته ﷺ، وأنه حصل أكثر من مرة، ولكل مرة حكمة بالغة لمن يؤمن الله تعالى، ويصدق برسالته الإلهية، وكذلك عرف الباحث إنكار السيد مُحَّد رضا بمعجزة شق الصدر، وأنكر السيد رشيد الأحاديث الثابتة.
4. كذلك تبيّن للباحث أن السيد رشيد رضا يعتمد كلياً على العقل، فإذا جاء أي شيء يخالف العقل البشري، أو لا يتناسب مع الواقع فإنه ينكر ذلك، فهذا ليس من سمات العالم الرباني، وإنما على المسلم الاستسلام لأوامر الله تعالى؛ لأن كون الإنسان لا يستسلم لأوامر الله تعالى لا يؤخر ذلك ولا يقدم شيئاً من قدراته سبحانه وتعالى، فالأولى الاستسلام.

فهذا جهد متواضع من الفقير إلى رفق ربه، ومغفرته فإن كان صواباً فمن الله تعالى، وتوفيقه، وإن وُجد غير ذلك فمني ومن سبب نزغ الشيطان، فاستغفر الله تعالى، وأتوب إليه من كل زلل وخطأ.
وصلى الله على رسوله ونبيه مُحَّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

سرد أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الآثار الكاملة لمجلة المنار عن جنوب شرق آسيا ، لأحمد إبراهيم أبو شوك، (مركز بحوث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط1، 2006م).

أضواء البيانفي إيضاح القرآن الكريم، لمحمد الأمين بن مُحَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، 1415 هـ/1995م).

الأعمال الكاملة، لمحمد عبده، (بيروت: مؤسسة عربية، د. ط، 1979م).

البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (دار إحياء التراث العربي).

التحرير والتنوير ، مُحَّد الطاهر بن مُحَّد بن مُحَّد الطاهر بن عاشور التونسي ، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1420هـ/2000م).

التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، (القاهرة: دار الحديث، د. ط، 2005م).

جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: أحمد مُحَّد شاكر، مُحَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ج1، ط1، 1420 هـ/2000م).

الجامع الصغير من حديث البشير والنذير ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى باز، ط2، 2000م).

الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: هشام سمير البخاري، لأبي عبد الله مُحَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، (الرياض: دار عالم الكتب، د. ط، 1423هـ/ 2003م).

رشيد رضا: الصحفي، المفسّر، الشاعر، اللغوي، لأحمد الشرباصي، (القاهرة: مطبوعات مجمع البحوث الإسلاميّة، 1977م).

صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، (دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ). **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، (بيروت: دار الجيل، د. ط، د. ت).

صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، للعلامة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1988م).

طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، لأحمد بن مُحَمَّد الأدنروي، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1997م).

فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، (بيروت: دار المعرفة، د. ط، 1379هـ).

قاموس المحيط، لفيروز آبادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب، (بيروت: دار الفكر، ط1، 2003م).

الكليات، تحقيق عدنان درويش، ومُحَمَّد المصري، للكفومي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/1998م).

لسان العرب، لمحمد مكرم ابن منظور، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط2، 1999م).

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لمحمد بن أحمد بن سالم، (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط2، 1402هـ/1982م).

مجلة المنار، مُحَمَّد رشيد رضا، (مصر: مطبعة المنار، ط2، 1327هـ).

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، لحافظ بن أحمد حكمي، (الدمام: دار ابن القيم، ط1، 1410/1990م).

مفاتيح الغيث، فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ/2000م).

موقع ويكبيديا،http://ar.wikipedia.org/wiki/%،تاريخ الزيارة: 2014/01/21م.